الفصل الخامس

تناسخ الأرواح بين الحقيقة والخيال

هل فكرت يوميًا بأنك عشت قبل هذه الحياة، وإن حياتك هى الإستمرارية لحياة سبقت وهذه الإستمرارية متمثلة فى الروح التى تنتقل من جسد إلى آخر عبر الأجيال المتعاقبه، إن هذه العملية تدعى تناسخ الأرواح أو «التقمص». والتقمص ليس بدعة جديدة بل هو معتقد قديم تدرج عبر الحضارات بأشكال مختلفة وتسميات متعددة فلاقت العديد من الإهتمام والدراسة العلمية وهناك العديد من المفكرين والباحثين والعلماء قالوا به ومازالت هذه العقيدة قيد الدراسة. كلمة التقمص جاءت من كلمة قميص، وقد شبه الجسد بالقميص، فكلما يخلع الإنسان قميصه القديم ويرتدى قميصًا جديدًا، هكذا تخلع الروح قميصها كما يعتقد المؤمنون بهذا المعتقد. فالروح من خلال معتقداتهم تخلع جسدها القديم لتلبس قميصًا جديدًا ـ أى طفل جديد فى هذا العالم.

إختلف رجال العلم فى هذا الموضوع وأيضًا رجال الدين، فمنهم من يوافق أو يؤيد ويؤكد نظرية أو الإيمان بالتقمص، ومنهم من يعارضه بشدة. وإختلف العلماء والمتخصصين كل فى مجاله أيضًا حول السؤال: متى تدخل الروح إلى الجسد؟ فبعض العلماء والمتخصصين من الطرفين العلمى والدينى يقولون بأن الروح تلتصق بالجسد فى اليوم الأول لتكون الجنين فى الرحم، وقسم آخر يقول بعد أسابيع معدودة من تكون الجنين، وآخرين يدعون إنه ساعة الولادة. لذا ليس هناك أى إتفاق كان فى هذا الموضوع من الناحية الدينية أو العلمية وبعض الأبحاث تؤكد والبعض ينفيه. ولكن ما دعانى لتخصيص هذا الفصل بكامله حول دراسة هذه الظاهرة هو بروز هذا المفهوم فى نهايات القرن الماضى

وحتى وقتنا هذا وتعدد الدراسات والروايات المذهلة حول أشخاص عديدين من جميع أنحاء العالم يروون بدقة غريبة كيف أنهم عاشوا من قبل فى أماكن مختلفة وكان لهم أسماء أخرى وعائلات مختلفة، وكيف أنهم رووا تفاصيل دقيقة عن حياتهم السابقة لا تحتمل التشكيك، والمذهل أنه تم التأكد من جانب الكثير من الباحثين لهذه الظاهرة من صدق روايات هؤلاء الأشخاص التى تقدر أعدادهم بعشرات الآلآف من الحالات المسجلة على مستوى العالم. لقد أثار ذلك فضولى لأبدأ رحلة البحث ودراسة الروح التى بدأت بكتابى هذا وسوف أقوم بإستكمال بحثى فى دراسة خاصة عن تناسخ الأرواح فى كتابى القادم بإذن الله، وإن كنت قد قررت أن أعرض عليك عزيزى القارئ بعض الحقائق عن هذه الظاهرة وإرتباطها بطبيعة الروح فى هذا الفصل من الكتاب.

إن التقمص هى ظاهرة عالمية تحدث لأشخاص من مختلف الأجناس، ظاهرة أن يدعى الشخص بأنه سبق وأن عاش حياة أخرى بجسد آخر، وإنه يذكر بعضًا أو كثيرًا من تفاصيل تلك الحياة كأسماء أفراد أسرتة السابقة وأصدقائة السابقين. حين يدعى شخص ما مثل هذا الإدعاء، فإن السبيل الوحيد للتحقق من مصداقيته هى عبر التحقق من صحة المعلومات التى قدمها عن حياته السابقة، وذلك عن طريق التواصل مع الذين ظلوا على قيد الحياة من أفراد أسرته السابقة، وحين يتعذر ذلك، أو حين لا نجد تطابقًا كاملًا بين رواية المدعى وبين رواية أفراد أسرته السابقة، حينها تصبح الدعوى مجرد «قصة شخصية» رواها شخص ما ولا يمكن التحقق من صحتها ولا يمكن إعتبارها مثبتة لشئ ما، أى أن الموضوع يصبح مثل دعاوى الأشخاص الذين يزعمون بأنهم قد تعرضوا للإختطاف من كائنات فضائية أجرت عليهم تجارب، وهذه دعاوى لا قيمة لها علميًا لإستحالة التحقق من صحتها، ولكن هناك عينة من مدعى تذكر الحياة السابقة، مجرد إدعائهم بما يدعونه هو كاف لإضفاء مقدار عظيم من المصداقية على إدعاءاتهم.

لقد قام الباحثين فى هذا المجال بتقسيم الأشخاص الذين يتذكرون حياتهم السابقة إلى مجموعتين:

١ ـ الذين يتذكرون هذه الذكريات عبر جلسات التنويم المغناطيسى، وتسمى بـ Past life regression ـ وهذا النوع فى الغالب لاقيمة له من الناحية العلمية ولا يعنينا فى مقامنا هذا، إذ أن هذا النوع من التذكر يكون غالبًا من صنع العقل الباطن.

٢ ـ الذين يتذكرون هذه الذكريات وهو فى مرحلة الطفولة، وهذا النوع هو الذى قام علية دليل تناسخ الأرواح، وهو النوع الذى أعتقد بأنه مجرد الإدعاء منه كاف لإثبات صحة تناسخ الأرواح، لماذا؟؟ يبدأ هؤلاء الأطفال بالحديث عن «حياتهم السابقة» فى سن مبكر جدًا ومع بدايات تعلمهم للنطق وهم فى سن الثانية، وتستمر هذه الذكريات لديهم إلى أن يبدأوا فى الذهاب إلى المدرسة والإنخراط والإنشغال بشكل أكبر فى الحياة، فيؤدى ذلك إلى نسيانهم بشكل تدريجى لذكريات الحياة السابقة. وقد لوحظ أن الأطفال الذين تذكروا أنهم فى حياة سابقة قد ماتوا بشكل غير طبيعى ـ حادث، جريمة قتل ـ تصبح لديهم فوبيا ـ رهاب ـ من الأمور المرتبطة بموتهم، فالطفل الذى يتذكر أنه قد مات فى حياته السابقة طعنًا بالسكين يصبح لديه رهاب وخوف غير طبيعى من السكاكين، ومن تذكر أنه مات غرقًا يصبح لديه رهاب من السباحة، وهكذا.

الآن تصور هذا المشهد:

طفل فى الثانية من عمره ما يزال يرتدى الحفاضات، يقول عن نفسه بأنه سبق وأن عاش من قبل، وأنه كان له أسم آخر غير إسمه الحالى، وعائلة أخرى

وأصدقاء، وكان له عمل، بل ويذكر الكيفيه التى مات بها، وبعضهم يذكر ما حصل معه بعد الموت من أنه هوى فى حفرة عميقة أو دخل فى نفق وبعدها عاد إلى الحياة فى جسد جديد. حين تتصور هذا المشهد السابق، أعتقد بأنك ستتفهم تمامًا لماذا يعتبر الباحثين بأن مجرد هذا الإدعاء يكفى لإثبات المصداقية، لأن المدعيين ببساطة هم أطفال. فما الذى يجعل طفلًا فى الثانية من عمره يدعى مثل هذا الإدعاء المذهل؟ أيكون كاذبًا؟ لماذا يكذب؟ وهل تتصور أن طفلًا فى الثانية من عمره بإمكانه أن يكون بهذه الدرجة من الوعى بحيث يحبك كذبة مفادها أنه عاش من قبل ثم مات والآن هو حى فى جسد جديد؟ هل هذا شىء يشبه شيئًا ممكن أن يقوله طفل فى الثانية من عمره.

هل الطفل توهم هذا الأمر؟ ولكن هل عقل طفل فى الثانية من عمره قادر على «حبك» مثل هذا الوهم الذى قد لا يصل إليه أعتى مصاب بإنفصام الشخصية!! الوضع هنا مختلف جدًا عن «الإدعاءات الخارقة» الأخرى التى تعود للبالغين، فالبالغ لديه دوافع للكذب، ودماغه مر بتجارب كافية لتمكينه إما من الكذب بشكل جيد أو المرور بهلاوس وإيهامه بأنه تعرض مثلًا للإختطاف من كائنات فضائية أو شاهد شبحًا ما أو غير ذلك، نحن هنا نتحدث عن أطفال فى بداية وعيهم للحياة وما إن امتلكوا شيئًا من اللغة حتى ابتدأوا يتحدثون عن عيشهم لحياة سابقة هذه ظاهرة حدثت وتحدث فى مختلف مناطق العالم وتم تدوين ودراسة عدد كبير جدًا من هذه الحالات كما سنستعرض لاحقًا، إذا الموضوع مختلف هنا، ولذلك مجرد الإدعاء فى هذه الحالة هو كاف للفت الأنظار بشدة نحو هذه الظاهرة، وكاف للتعامل معها بجدية تامة وبشكل مختلف تمامًا عن بقية الإدعاءات الخارقة التى تعود للبالغين.

فإذا كان الإدعاء بحد ذاتة مذهلًا لهذه الدرجة، فما باللك حين تعلم بأنه قد تمت دراسة عدد كبير من هذه الحالات وتم وجود إثبات ووجود تطابق

بين رواية الطفل وبين رواية عائلة الشخص الذى قال الطفل انه كان هو! بل ما بالك حين تعلم بوجود حالات كثيرة تظهر فيها على الطفل علامة على جسده منذ الولادة (Birth Mark) أو يولد بعاهة، ثم يتبين بعد التحقيق والوصول إلى أسرة الشخصية السابقة والحصول على ملفاته الطبية يتبين أن العلامة الموجودة فى جسد الطفل هى مطابقة للإصابة أو العلامة التى كانت موجودة فى جسده السابق! حينها لا يصبح مجال للشك فى أن تناسخ الأرواح هو ظاهرة بها كثير من الواقع، وأن الموت ليس النهاية، بل هو بوابة لأحداث أخرى علمنا منها جانبًا يستحق الدراسة والبحث وهو أن يعود الشخص للعيش بجسد مختلف، ولحسن الحظ أن بعض هؤلاء كانوا قادرين على تذكر حياتهم السابقة، فقدموا لنا الدليل الأقوى على إفتراضات وجود الحياة بعد الموت.

قبل التعمق فى موضوع التقمص أو التناسخ، هناك بعض الأسئلة والمعلومات التى لابد من الإجابة عليها ومعرفتها لكى نفهم الموضوع من الناحية التاريخية والدينية والعلمية أيضًا، وطبعًا سوف أحاول إستعراض ما توصلت إليه بالدراسة والبحث بصورة مبسطة قدر الإمكان.

التقمص فى الديانات السماوية الثلاث

١ ـ فى الديانة اليهودية

هناك الكثير من الآيات فى بعض الأسفار فى التوراة وبالذات فى «سفرى الجامعة والمزامير» التى ينسب فى تفسيرها إلى التقمص أو تناسخ الأرواح، وكثيرين من رجال اليهود يعملون فى حقل التقمص وتناسخ الأرواح، فقد وردت فى التوراة آيات تثبت حقيقة التقمص نذكر منها ما قاله النبى سليمان فى سفر الجامعة: (دور يمضى ودور يجئ والأرض قائمة إلى الأبد والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق، الريح تذهب إلى

الجنوب وتدور إلى الشمال تذهب دائرة دورانها فإلى مداراتها ترجع الرياح. ما كان فهو ما يكون والذى صنع فهو الذى يصنع، فليس تحت الشمس جديد. إن وجد شيء يقال عنه انظر هذا جديد فهو منذ زمن كان فى الدهور التى كانت قبلها) ـ التوراة: سفر الجامعة ـ الإصحاح الأول: ١-١٠.

هذا يعنى أن كل شيء يتبع نظام الدائرة والأشياء التى عنيتها التوراة هنا ليس فقط الأشياء المادية والأغراض التى تغنى وتزول وتتزايد وتتناقص وإنما عنت الجواهر الأزلية الخالدة منها النفوس التى تتقمص الأجساد لا يزاد عليها ولا ينقص منها، أى عدد ثابت منذ النشأة الأولى. وكتاب القبالة المعروف عند خاصة اليهود (Kaballah) وهو كتاب سرى قديم، يحتوى على معظم التعاليم السرية ويعلم مناجاة أرواح الأحياء والأموات وتناسخ الأرواح وترقيها فى معالج الكمال فى سير حيوات متعددة. فاليهود كانوا يعرفون التقمص ويسمونه القيامة.

٢ ـ فى الديانة المسيحية

كان المسيحيون حتى إنعقاد المجمع أو المؤتمر المسكونى الخامس فى القسطنطينيه والذى عقد فى عام ٥٥٣م، يؤمنون بالتقمص وتناسخ الأرواح، وكان الفيلسوف والعالم المسيحى أوريجيينس (أوريجين) الإسكندرانى ١٨٥ - ٢٥٤م والذى كان رئيس مدرسة اللاهوت فى الأسكندرية بمصر كان أول من كتب وحلل موضوع التقمص فى المسيحية، وتبعه فى ذلك الكثير من الكهنة وعامة الشعب. ولكن فى المجمع المذكور سالفًا والذى لم يحضره بابا روما (وهذا المجمع الأول والوحيد الذى لم يشارك به بابا روما)، تقرر إلغاء الإيمان فى التقمص وهدر دم الإيمان بالتقمص وهدر دم كل مسيحى واعتباره خارجًا عن الديانة المسيحية واعدامه حرقًا. وهذا ما حل بالراهب الدومينيكانى «جيوردانو برونو» (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠م) الذى قدم إلى محكمة الإعدام الكنسية

واعدم حرقًا فى عام ١٦٠٠م بسبب معتقداته الفلسفية والدينية الخاصة حول التقمص وتناسخ الأرواح.

وحسب المصادر والمراجع يقال بأن السبب فى إلغاء الإيمان بالتقمص فى الديانة المسيحية هو خلافات داخلية بين الأساقفة وآخرين حيث قالوا وقتئذ بأن السبب هو دينى صرف. لقد ذكر «أوريجانيس» عبقرى المسيحية الأولى (فى موسوعة المعرفة المسيحية ـ اباء الكنيسة عدد ٣) مايلى: «لا يمكن للروح البشرية أن تبلغ الطهارة الأصلية من خلال مرور واحد إلى العالم المادى، إذ ان هناك بعض الأرواح تتابع سقوطها بإستمرار، فى حين يتمكن البعض الآخر من الصعود الجزئى، مما يحتم عليها معاودة التجسد فى عوالم وأزمنة متعددة ومتتالية، إلى أن تبلغ وحدتها الأصلية».

إعتقد الكثير من رجال الدين المسيحى الأوائل أن ولادة السيد المسيح كانت إشارة للشعوب أن السيد المسيح هو تناسخ أو نسخة من الأنبياء الأوليين. فقد ذكر الإنجيل أن السيد المسيح سأل حواريه قائلًا: (من يضمن الناس أننى أكون) وقدم له التلاميذ اسماء مألوفة عند إجابتهم عن السؤال مثل (النبى إلياس، متى، يوحنا المعمدان). وانتشرت إشاعة بولادة نبى قديم ولهذا أصبح الإيمان بالقيامة والخلود أمرًا أكيد.

إن من أوائل آباء الكنيسة أيضًا الذين تقلبوا عقيدة التقمص كان (سان كليمان السكندرى) وفى كتاب (توبيخ الملحدين) يقول: «لقد كنا موجودين قبل تأسيس هذا العالم بزمن طويل. لقد كنا موجودين فى عين الله لأن من قدرنا أن نعيش فى الله، نحن الخلائق العاقلة للكلمة الإلهية، لذا فقد وجدنا منذ البدء كانت الكلمة، إن الله لا يظهر عطفه علينا لأول مرة عندما نكون فى سياحتنا على الأرض بل لقد عطف علينا منذ البداية الأولى».

ثم جاء تلميذه (سان أرويجين) كما سبق أن ذكرت وصرح أننا لا نستطيع

فهم مقاطع أو آيات من الكتاب المقدس إلا من خلال التقمص، لذلك قال أوريجين (إن غفران الخطايا لا يحدث دفعة واحدة بل يحصل عليه الإنسان تدريجيًا من خلال عدة حيوات أو عدة تجسدات). ومن المعروف من الناحية التاريخية إن صراعًا نشأ بين اتباع «أوريجين» الذين ينادون بالعودة للتجسد وبين مفكرى هذه العقيدة، وكذلك حول طبيعة جسد السيد المسيح عليه السلام، فكان الحسم لصالح اتباع أوريجين وكان قد أعلن بطريرك القسطنطينية علنًا تأييد الإمبراطور «جستنيان» لقرار الحسم الذى يقر مبدأ العودة للتجسد.

ولكن مالبث أن حدث تحول هام لدى الإمبراطور «جستنيان» عندما وقع تحت تأثير عشيقته «تيودورا» التى أصبحت هى نفسها إمبراطورية لاحقًا، وكانت ذات تأثير قوى ضد عقيدة العودة للتجسد فى كل صوره فحاولت أن تمحوها من العالم الغربى بسبب جهلها، كما يعتبرها المؤرخون سبب فى قتل اثنين من الباباوات إلى حد أصبحت تختار البابا بنفسها، وذلك ما ورد فى الموسوعة البريطانية (رون تيبر).

وفى عام ٥٥٣م عقد الإمبراطور «جوستنيان» المجمع الثانى المسيحى فى القسطنطينية، وقد أجمع المجلس كما سبق أن ذكرت من قبل والذى لم يحضره بابا روما على إدانه وشجب فكرة التقمص وقرر عدم جواز مذهب التقمص. لكن لم تنتهى فكرة التناسخ والتقمص فى المسيحية عند هذا الحد، فقد اعتمد أحد أبرز اعلام المسيحيين موضوع التقمص وهو القديس «أوغسطيه» الراهب الرومانى فى القرن السابع عشر الميلادى، القديس «توما الأكوينى»، وبعدها نرى الكتاب والباحثين الأمريكيين يستشهدون بالإنجيل ويرون الدليل على أن التقمص أحد فصول الحياة التى سبقهم الإنجيل إلى معرفتة.

هذا وقد سئل المندوب البابوى فى باريس وهو نفسه الذى أصبح فيما بعد بابا روما يوحنا الثالث والعشرين عما إذا كان يعتقد فى صحة مبدأ العودة

للتجسد، فأجاب بصراحة متناهية تستدعى الإنتباه: «نعم لكن ليس من حقى أن أقول ذلك». هذا ما رأيناه من قديسين وعلماء مسيحيين، أما فيما يتعلق بالإنجيل والسيد المسيح عليه السلام، فثمه من يستنتج من أقواله أنه كان يقر التقمص فقد جاء بالكتاب المقدس: وسأله تلاميذه قائلين: (فلماذا يقول الكنية إن إيليا ينبغى أن يأتى أولًا؟ فأجاب وقال: إن إيليا يأتى ويصلح كل شىء بيد أنى أقول لكم أن إيليا قد أتى ولم يعرفوه، بل فعلوا به ما يريدون. ففهم التلاميذ عند إذن أنه كلمهم عن يوحنا المعمدان). ـ الكتاب المقدس: متى: ١٧. ذلك أن اليهود كانوا يذكرون أن يكون يسوع المسيح المنتظر لأن هذا يجب أن يسبقه إيليا، فأكد لهم أن إيليا قد جاء بشخص يوحنا المعمدان ولم يعرفوه وكان هيرودس قد قطع رأسه. وفى واقعه أخرى للسيد المسيح عليه السلام، كان ذات يوم يصلى على إنفراد وكان التلاميذ بمحاذاته، «سألهم قائلًا من ترى أنا فى نظركم، فأجابوا: يقول بعضهم إنك يوحنا المعمدان، وغيرهم أنك إيليا، وآخرون إنك نبيًا من الأنبياء القدماء قد قام» ـ الكتاب المقدس: لوقا: ٩-١٩-١٨٠.

وكان إيليا وأرميا وغيرهم من الأنبياء قد فارقوا منذ زمن بعيد. الا يستنتج من ذلك أن الكتاب المقدس يقر بأن أرواح الذين ينفصلون عن الأرض يمكن أن تعود إلى الأرض فتلبس كل روح جسدًا جديدًا فى حياتها الجديدة. وفى مقولة أخرى للسيد المسيح ذكرت فى الكتاب المقدس: «فيما كان المسيح مجتاز، رأى رجلًا أعمى منذ مولده، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى، أجاب المسيح: لا هذا أخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه» ـ الكتاب المقدس: يوحنا ٩. أذن المعنى هنا أن الخطيئة يجب أن تكون قد حدثت قبل العمى، وبما أن الرجل ولد أعمى فيجب أن يكون مفترضًا أن يكون الخطأ قد حدث فى حياتة السابقة وهذا يعنى التقمص. ونرى السيد المسيح لم يذكر عليهم هذا القول، بل أجاب بجواب يقر بوجود التقمص ـ (كشيك ٢٠٠٣ - ص ٤٩ - ٥٠).

٣ ـ التقمص عند العرب قبل وبعد الإسلام

١ ـ إنتقال الروح عند العرب قبل الإسلام

إعتقد العرب الجاهليون برجعة الإنسان إلى العالم الأرضى بعد الموت، وقالوا أن الميت يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى، ويكون حيًا كما كان. يوجد عند العرب القصص والروايات التى تؤكد أن العرب الجاهليين إعتقدوا بالمسخ، من ذلك ما قاله بعض أهل الأخبار عن الهتهم مثل اللات من أنه كان رجلًا يلق السويق عند صخرة بالطائف، فلما مات قال لهم «عمر بن محى» أنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة ثم آمرهم بعبادتها وبنى بيت عليها يسمى «اللات». وما رواه العرب أيضًا عن «إساف ونائلة» من إنهما رجلًا وامرأة عملا عمل قبيحًا فى الكعبة فمسخًا حجريين.

٢ ـ التقمص فى الديانة الإسلامية

كما آمن العرب بالتناسخ على مختلف أشكاله وكان أثر التناسخ كبيرًا على بعض الفرق الإسلامية، فقد قال أحمد بن حايط، وأبو مسلم الخرسانى، والقرامطة، ومحمد بن زكريا الرازى بما معناه وكأن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت. وتعتبر «الجناحية» من الفرق الأوائل التى آمنتا بالتناسخ ويظهر أبحاث بعض المؤرخين أن هذه الفرقة قد إعتقدت بالنسخ والمسخ وجاءت «المخمسة» بعد الجناحية، وكانت تركز على مبدأ التناسخ وتعدل فى أصوله وتبدل فى أحكامه فتتوسع فى إعتقادها لتشمل النسخ والمسخ والفسخ والرسخ.

وظهرت خراسان (المسلمية) فإعتقدت بإنتقال الأرواح من جسد إلى جسد وجعلت رفعة الروح أو انحطاطها فى القالب الجديد متوقف على ما تقدمه من أعمال وما تحمله من نيات فى الحيوات السابقة. ولقد مال إلى الإعتقاد التناسخى أشهر طبيب عربى وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الذى قدم

الكثير من المؤلفات فى مجال الطب والذى كان من أمهر الأطباء العرب فى عصره، وقد أعرب عن هذه العقيدة فى كتابه «العلم الإلهى».

لقد تبنى إعتقاد التناسخ لفيف من الفلاسفة والمفكرين الدينيين إستنادًا إلى العديد من الآيات الكريمة الصحيحة، ومن هذه الآيات الكريمة مثلًا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة ٢٨). ومن هؤلاء الذين بنوا هذا الإعتقاد بالعودة للتجسد واحدًا لا يزال معتبرًا من قمة فلاسفة الإسلام وهو «يعقوب بن إسحق بن عمر الكندى» والفيلسوف «شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى»، وأحمد بن حابط وعبدالله بن سبأ والحسين بن منصور المعروف «بالحلاج» ومحى الدين بن عربى كما سبق أن ذكرت.

إننا لو تمعنا فى آيات القرآن الكريم، ودرسنا ما تشير إليه الآيات الخاصة بخلق الإنسان لوجدنا أنها تقول بصراحة وجود حيوات سابقة للإنسان على حياته الأرضية، فقول القرآن الكريم ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (سورة مريم: ٦٧)، وتفيد آيات من القرأن الكريم وجود خلق أكثر من مرة للإنسان مما يؤكد ويساند هذا الرأى وذلك من مثل النص الشريف «وهو خلقكم أول مرة»، فذكر القرأن الكريم للخلق (أول مرة) إنما يفيد وجود أكثر من خلق، وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الإنسان يوم القيامة إذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة بالخلق، إنما أطلق عليه البعث فى مثل النص الشريف ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ (سورة المؤمنين).

وهناك بعض المذاهب والفرق الإسلامية التى تعتبر التقمص من المسلمات مثل المذهب التوحيدى «الدرزى» والعلوية واليزيدية، ولكن كما فى المسيحية هناك الكثير من المفكرين المسلمين بالذات من السنة الذين يرفضون تفسير الآيات المذكورة لاحقًا كدلالة على وجود التقمص فى الإسلام. والإمام

«الغزالى» فى كتابه «التهافت» لم يذكر تناسخ الأرواح وأكد بأن البعث والتناسخ يرجعان إلى واحد أى إلى نفس المعنى. ومن هذه الآيات القرأنيه التى تتحدث عن التناسخ على الأقل حسب تفسير الشيعه وأتباعها:

سورة البقرة الآية ٢٨: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

سورة طه الآية ٥٥: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

سورة الزمر الآية ٦: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾.

سورة الروم الآية ١٩: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

سورة العنكبوت الآية ٥٧: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

طبعًا، وطبقًا لبعض المفسرين الكبار للقرآن، هذه الآيات وغيرها تؤكد رجوع الروح للجسد، أى بما معناه تناسخ الأرواح أو التقمص، وهناك أيضًا مفسرين أخرين للكتب السماوية الذين يختلفون ويعارضون هذا التفسير بخصوص هذه الآيات وغيرها، وبأن المقصود من وراء كل آية هو أعمق مما كتب، ولكن فكرة التناسخ فى هذا التفسير كانت معضدة من وجهة نظر الكثير من المفسرين وحسب الكثير من المراجع الدينية.

التقمص فى حضارات العالم المختلفة

سوف أذكر هنا فى هذا الجزء الشعوب التى آمنت والتى تؤمن حتى يومنا هذا بالتقمص:

١ ـ الفراعنة

كان الفراعنة أول من آمن بالتقمص، وبرهان ذلك كان فى طريقة دفن أمواتهم.

فالفراعنة دفنوا الأموات ووضعوا بجانبهم كل إحتياجات المتوفى من المأكل والمشرب والأدوات الشخصية حتى إنهم وضعوا تماثيل لخدامهم وبإعتقادهم بأنه عند عودة الروح للمتوفى سيجد الجميع بإنتظاره لخدمته. وكانوا يرسمون وجه الشخص المتوفى على التابوت بغرض تعرف الروح على جسدها لكى لا تلتصق بجسد آخر.

لقد كان الفراعنة يؤمنون أن ثمه حياة ثانية للإنسان فى عالم آخر، وأن الروح باقية إلى أن تعود إلى أجسادها عندما يحين الوقت الذى يستأنف فيه الميت حياته الثانية، وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة إلى الحياة مرة أخرى ثلاثة الآف سنة تقريبًا. وقد رأى البعض منهم أن الأرواح لا تقضى هذه المدة الطويلة فى فراغ، ومالوا إلى الإعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ فى الألمام بطائفة من المعلومات وألوان متعددة فى المعرفة والخبرة التى تزخر بها مختلف ميادين الحياة فى عالم الحيوان وعالم الإنسان، ومن أجل ذلك تتجسد فى أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو. وبعد أن تستنفذ الروح أغراضها من رحلة المعرفة والعلم، تعود إلى جسدها على الأرض لتحل فيه وتستأنف به حياتها الثانية فى العالم الآخر، فإن لم تجده كأن يكون قد تحلل وأندثر أو وجدته محنطًا ومحتفظًا بكيانه ولكنه على حالته من الموت ولم تستطع التلبس به، إنصرفت منه إلى جنين إنسان مختلف به لتستأنف به حياة أرضية جديدة (جوشن ١٩٩١ ص ٩٤).

٢ ـ التقمص فى الحضارة الإغريقية

إذا إنتقلنا إلى الإغريق نجد أنهم وفى أزهى أيام نهضتهم العظمى أكثروا الكلام عن خلود الروح، ووصف الأرواح بالألهة فكان هناك إله الحب والصيد.. إلخ. وكانت الأورفية والفيثاغورثية تعتقد أن الروح حلت فى الجسد

ولابد أن تقضى فترة عقوبة خلال وجودها بالجسد وهذا هو أساس إعتقادهم عن العودة بالتجسد.

فيثاغورث (٥٨٢ - ٥٠٧ ق.م)

يعتبر فيثاغورث نفسه فيلسوف وليس حكيمًا، ومن فلسفته الخلود، وتناسخ الأرواح، وكان مبدأه كما كانت عليه البراهمانية إذ كان يعتقد أن الروح تنتقل إلى الإنسان والحيوان والنبات. وإعتقد فيثاغورث أن النفس هى عنصر خالد أشرف من المادة. ومن مقامات الفيثاغورثية الإعتقاد بخلود الروح وإن كل كائن يظهر ويتلاشى ليعود إلى الظهور فى دورة معلومة مدتها ثلاث الآف سنة، وإنه لا جديد تحت الشمس وكل مولود حى يشكل خليقة من سلسلة الأسرة الواحدة الشاملة. كما إعتقد فيثاغورث «بالنطق» فكان يقص على تلاميذه إنتقاله من حياة إلى حياة منذ حصار طروادة، فيسأله تلاميذه لماذا تتذكر كل هذا ونحن لا نتذكر شيئًا عن حياتنا الماضية، فيجيبهم ليس لكل إنسان موهبة النطق ليتذكر، وإن هذه الموهبة تمنح لبعض الأرواح لأسباب لا يمكن تحديدها بالضبط.

سقراط (٤٦٨ - ٣٩٩ ق.م)

كان سقراط يؤمن بخلود النفس، عندما حكم عليه بالموت، صرخ لإثنين من أتباعه وهما سيمياس وسيبس قائلًا: (نعم إنى أعترف أنه لولا إعتقادى إنى سوف أذهب أولا صوب الهة أخرى حليمة ورحيمة ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا وهم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا لكان من الخطأ الفاحش ألا تثور نفس ضد الموت. كما كان سقراط يبرهن على خلود النفس بعد الموت وأخذ قرب إحتضاره يبين لأتباعه كيف أن للأشياء عوده إلى بدء، فالحياة يتبعها الموت والموت تتبعه الحياة.

أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)

تولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة على خلود النفس، فأصبحت فكرة التقمص متبلورة أكثر مثل برهان الحياة والحركة وبرهان التذكر والبساطة التذكر والبساطة والتركيب والبرهان الخلقى، بما يضيق المقام على ذكره هنا، ويكفى مثلًا أن برهان يقول: (من الواجب أن تظل أرواح الموتى حية فى مكان خاص حتى تكون نبعًا ومبدأ لكل حيوات جديدة ولو لم يكن هناك إنتقال من الموت إلى الحياة، لإنتهى كل ما فى الوجود إلى العدم كما هو الحال فيما إذا إستقر المرء فى نومه إلى ما لا نهاية.

أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م)

أما أرسطو طاليس فقد كان ينبوع الفلسفة الذى لا ينضب وكان رأيه فى موضوع النفس إجماليًا عامًا إذ يعتقد أن العقل الإنسانى لا يعرف الفناء، فهو باق يعد فناء الجسد. من قوله هذا نستنتج أن النفس لا تعرف الفناء لأنها منبثقة عن العقل.

٣ ـ التقمص عند الهنود والبوذيون

يعتقد الهندوس أن الروح تنتقل من إنسان إلى الحيوان أو النبات، وإن الإنسان ينتقل من حياة إلى أخرى أحسن أو أسواء بالنسبة للمؤهلات والقوة والضعف. ويعتقد الهندوس أن التناسخ يرفع المخلوق ويحيطه بحسب أعماله، وأن البوذيون كالهندوس يؤمن بالتقمص، وكلاهما يعتقد أن الحياة الأرضية يتخللها عذاب ناتج عن رغبة الإنسان فى التمتع بالشهوات وملزات الدنيا وضعفه تجاه المغريات الدنيوية، ومن ابرز نواحى الفكر الهندى فكرة التقمص، وقد ظهرت خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد وإتخذت شكلًا واضحًا وإن كانت معروفة منذ أقدم العصور.

٤ ـ التقمص فى حضارات أمريكا الجنوبية

عند حضارة البيرو (Peru)

فى البيرو قبائل من الهنود الأمريكين الجنوبيين، كان لهم مدينة وصلت إلى درجة عالية جدًا من الرقى. تعتقد هذه القبائل ومازالت بالتقمص على الطريقة العصرية، أى عودة الروح إلى الجسد الذى خرجت منه. ومن الأدلة على وجود هذا الإعتقاد، أن بعض هذه القبائل كانت تحدد النسل الذى تريده الأسرة، فإذا ما زاد عدد الأولاد عمدوا إلى قتلهم، ولم يكونوا ليجدوا فى ذلك غضاضة. وكانت البنت التى تتعرض للقتل أو تعذب حتى تموت بحجة أن ذلك يجعل روحًا تعود للحياة فى جسد صبى عند عودتها إلى الحياة الجديدة (طليع ١٩٨٠ ص ٦٩).

فى البرازيل

الإعتقاد بأن جزءًا من الشخص البشرى يبقى بعد الموت المادى للجسد أو ما يعبر عنه بالموت الطبيعى، هذا الإعتقاد بقى ثابتًا وقويًا فى البرازيل أكثر منه فى أى بلد أمريكى آخر، وذلك منذ زمن بعيد. يؤكد الطبيب وعالم النفس الأمريكى (إيان ستيفنسن) أن عددًا لا يقل عن نسبة ٢٥٪ من سكان البرازيل يعتقدون بإنتقال الروح من جسد إلى آخر. وقد إنتقل إليهم هذا الإعتقاد عن طريق أفريقيا وفرنسا، بسبب الإحتكاك بين شعوب هذه البلدان عن طريق التبادل التجارى والثقافى الذى كان قائمًا بينهما. وكان من أشهر الذين تأثر بالبرازيليين من الفرنسيين هو (ألن كاردك) مؤلف كتاب الوسطاء المنشور سنة ١٩٢٢ وله مؤلف آخر مترجم إلى الإنجليزية بعنوان الجنة والنار ومنشور سنة ١٨٧٨ فى لندن وقد سبق أن استشهدت به فى الفصل السابق، وفى كتابه الأخير يشرح (كاردك) عقيدته وإيمانه بالعودة للتجسد بطريقة فلسفية مستندة إلى وقائع وأحداث.

أنواع التقمص

حسب الديانة الهندوسية والبوذية والشرقية بشكل عام، هناك ٤ أنواع أو حالات من التقمص والتى سأذكرها لاحقًا. بينما من يؤمنون بالتقمص من الديانات الإلهية يؤمنون فقط بنوع واحد من التقمص وهو التناسخ.

أما أنواع التقمص فهى كاللآتى:

١ ـ النسخ: هو التقمص وهو إنتقال النفس أو الروح من إنسان إلى آخر. (وهذا ما يؤمن به بعض ابناء الديانات السماوية).

٢ ـ المسخ: إنتقال النفس البشرية إلى جسد الحيوان بمختلف انواعه.

٣ ـ الرسخ: من الجسد البشرى إلى جماد!!

٤ ـ الفسخ: وهو إنتقال الروح من الجسد البشرى إلى نبات!!

وتتغير هذه المفاهيم حسب الديانات ومتبعيها وتتوقف على أساس الديانة المعتقدى و الروحى.

بعد هذا الشرح التفصيلى لمعتقد التقمص أو التناسخ، تطرح الكثير من الأسئلة نفسها فى مواجهة هذا المعتقد حتى يتم فهمه وفهم أصوله بصورة واضحة. مثلًا:

متى تتم إنتقال أو نسخ الروح من شخص لشخص؟ ولهذا السؤال عدة أجوبة: ففى بعض المذاهب أو الديانات هناك من يقول بأن الروح تنتقل فى نفس لحظة الوفاة، ومذاهب وأراء أخرى تقول بأن الروح ترجع إلى خالقها لعملية تهذيبها وتنقيتها من كل الشوائب وبعدها ترسل إلى جسم آخر نقية صافية ومطهرة. لذا يمكن أن تمكث الروح أيام أو أشهر أو ربما عشرات السنين قبل تناسخها أو رجوعها إلى جسم آخر حسب قولهم لأن الزمن الروحانى مختلف

كل الإختلاف عن الزمن المادى الذى نحيا ونعيش به. وبالنسبة للزمن المادى والروحانى ذكر هذا الموضوع فى الإنجيل المقدس فى «رؤية حنا».

كم مرة ممكن أن تنتقل الروح من جسد إلى آخر أو كم هو عدد التقمصات؟ القاعدة تقول بأن عدد التقمصات لا نهاية له، الله يرسل الروح فى جسم الإنسان لهدف معين وتمر فى سبعة دورات متكاملة فى المرحلة الواحدة وبعد أن تكتمل هذه الدورات تنتقل إلى دورة أو مرحلة أخرى من سبعة مراحل أخرى ولهدف آخر، لذا فإن عدد التناسخ حسب إعتقاد المؤمنين به هو عدد لا نهاية له.

هل النفوس فى تزايد أم أن عدد النفوس فى الكون ثابت؟ والإجابة تتعلق هنا بمفهوم الطائفة نفسها عن المعتقد، فهناك طوائف تقول بأن الله سبحانه وتعالى خلق النفوس منذ الخليقة فى يوم واحد وبعدد كامل لا يزيد ولا ينقص. وهناك رآى آخر يقول بأن النفوس واحدة ولكن الروح تتجزأ إلى أجزاء ومن هنا يكون التكاثر فى عدد الأشخاص بالعالم. (معلومة مهمة: حسب الأبحاث الأخيرة والتوقعات الإحصائية يقال بإن عدد سكان العالم منذ الخليقة وحتى يومنا هذا بلغ ٨٣ مليار نسمة) فإذا رجعنا إلى المقولة الأولى وهى بأن العالم لا يزيد ولا ينقص. بهذه النظرية تؤمن العديد من الطوائف والتفسير لها بأن الله خلق الأرض وأوجد عليها البشر والكائنات وخلق أيضًا كواكب أخرى وعليها أيضًا الملايين من الأرواح، لذلك فعملية التقمص تتم بين هذه الكواكب، وعليه فلا زيادة ولا نقصان فى العالم ككل. وكلما إزداد عدد الأشخاص على الكرة الأرضية، قل العدد فى أماكن وكواكب أخرى وبالعكس.

المقولة الثانية: تقول بأن الله خلق فى العالم والكون (٦١٣) نفس أو روح لا غير، ومن هذه النفوس تتجزأ وتنبثق الأرواح مثل الشرارة، فكل نفس يمكن أن تخلق العشرات بل الآلآف والملايين من الأرواح وعليه فإن العالم فى تزايد مستمر ولا نهاية له من حيث عدد قاطنيه، وهذه النظرية تقول وتؤكد أيضًا وجود

كواكب أخرى فى مجموعتنا الشمسية أو المجموعات الشمسية الأخرى والتى يمكن أن تنتقل الروح فيما بينها أى (التقمص). ومثالًا على هذه المقولة: كم شمعة يمكن إضائتها من عود ثقاب واحد؟ يمكن أن تكون شمعة واحدة أو مجموعة، وهذه المجموعة يمكن أن تضئ العشرات، والعشرات يمكن أن يضيئوا الآلآف والآلآف يضيئوا الملايين من الشموع، وهكذا إلى ما لا نهاية. وإذا رجعنا إلى الأساس نرى بأن جميع هذه الملايين من الشموع أساسها عود ثقاب واحد أو شمعة واحدة، وهذا هو ملخص تفسير النظرية الثانية.

وقد لفت نظر العلماء والباحثين على المستوى العالمى أمر مفاده: بأنه بعد كل حرب والتى يذهب ضحيتها الآلآف من الجنود الذكور وفى السنوات المتعاقبة للحرب، تكون نسبة ولادة الذكور فى إرتفاع ملحوظ!! وقد لوحظت هذه الظاهرة لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى وتمت دراستها فى ألمانيا ودول أوروبية أخرى بعد الحرب العالمية الثانية حيث لاحظ المسئولون بأن نسبة الولادة للذكور فى إزدياد مستمر، وربما هذا يؤكد عملية تناسخ الأرواح بطريق غير مباشر.

ممكن أن يتسأل القارئ بعد كل هذا الحديث عن التقمص والتناسخ، «ما فائدة المعرفة من كنت أو من أنا فى السابق؟ لأن المهم هو الحاضر والمستقبل وما أنا عليه الآن؟» هذا السؤال منطقى وموضوعى أيضًا، والجواب هو بأن لكل إنسان الخيار بما يريده أولًا، وليس على شخص تقبل ما يكتب الآخر ولكن عليه إحترام اراء الغير. لذا فأنا أؤمن بأن عملية البحث فى الماضى تساعد الشخص على الفهم بأن لكل مخلوق هناك دور فى المجتمع الإنسانى الذى يعيش فيه، ولكل مهنة إحتياجاتها، وبأن الإنسان هو أخ الإنسان فى البداية والنهاية، وربما عدو اليوم سيكون صديق أو أخ المستقبل فى الحياة الجديدة، وإن التسامح بين الأديان هو الأساس لأنه بإفتراض أن إعتقاد التناسخ صحيح، فإنه اذا ولدت

اليوم مسلمًا ربما أولد فى المستقبل يهوديًا أو مسيحيًا أو من أى مذهب أو عرق آخر. وإذا كنت اليوم فقيرًا فمستقبلًا ربما أولد ثريًا. فعملية الرجوع إلى السابق (التقمص) تستطيع أن تعطى الكثير من الأجوبة للتساؤلات التى تراودنا أو لشعور نشعر به ولا نجد له أى تفسير منطقى فى عالمنا هذا. أو ربما هناك بعض الأمراض أو العاهات التى نعانى منها ويكون سببها الحياة السابقة، وهناك عدة حالات مسجلة علميًا تم علاجها تشهد على هذه النظرية. أن من التساؤلات المشهورة المرتبطة بمعتقد التناسخ والتى تراودنا كثيرًا بأنه كم من مرة صادفنا أو قابلنا شخصًا لأول مرة فى حياتنا وشعرنا بأننا نعرفه جيدًا أو تقابلنا فى السابق، أو قلنا فى نفسنا بأننا أحببناه أو كرهناه من أول نظرة. وكم مرة زرت بلدًا أو دولة معينة وتشعر بأنك زرت هذا المكان فى السابق. وكم مرة أردت معرفة معلومات عامة عن شعب أو دولة وهى بعيدة عن مكان إقامتك الآف الكيلو مترات. أو إنك تهوى سماع لغة أجنبية وتستمتع فى سماعها بالرغم من عدم معرفتك معانيها. أو يراودك شعور بأن مهنة معينة تستهويك، وربما تعطى أجوبة معينة وتكون صحيحة فى مواضيع ليس لها علاقة بمهمتك. كثير من هذه المواضيع وأمور أخرى والتى يفسرها المختصون بأن لها علاقة بحياتنا السابقة ونقلناها إلى حياتنا الحالية.

إن عالم النفس «كارل يونج» ذكر مقولتة الشهيرة: «بأننا خلقنا متساويين، لكننا لم نولد متساويين». فى إشارة منه إلى العودة إلى التجسد جراء الإختلاف فى الخبرات المكتسبة سابقًا. فى ماضى وجود الإنسان على الأرض! علمًا بأن هناك العدد من الأطباء النفسيين يستخدمون التنويم المغناطيسى (Hypnosis) فى معالجة مرضاهم، فيعيدونهم إلى دورة حياتية سابقة حيث نشأ فيها المرض النفسى كى تتم عملية شفائهم.

الأديب اللبنانى «ميخائيل نعيمة» (فى المجموعة الكاملة ـ المجلد السابع)

أشار: «إلى أن الإنسان لأبد له من فسحة أطول بكثير من عمر واحد، فالزمان كله هو الفسحة المعدة له ليبلغ غايته، لذلك ترانى أعتنق عقيدة التقمص». والأديب اللبنانى «جبران خليل جبران» فى موسوعته الكاملة، ورد فى نص له بعنوان «الوداع» ذكر فيه: «الضباب الذى يفارق الأرض عند بزوغ الفجر من غير أن يترك سوى قطرات صغيرة من الندى صغيرة من الندى فى الحقول إنما يرتفع فى الجو لكى يجتمع هناك فيؤلف السحاب الذى لا يلبث أن يعود إلى الأرض مطرًا غزيرًا. فعبر دورات التجسد المتتالية على الأرض، يبحث كل من الرجل والمرأة عن نصفه الأفضل من أجل إكمال مسيرة الحب والزواج فى وحدة مكتملة على درب الوعى الذى سنته الحياة. وفى كل دورة حياتية على الأرض، يلتقى الرجل بالمرأة التى يعتقدها نصفه الأفضل، فيكتسب منها ميزات وخصائص وخبرات جديدة، لكن روحه التائقة إلى وعى الحقيقة تتابع عمرًا بعد عمر، وجيلًا بعد جيل، تتابع سعيها من أجل إيجاد توأم روحها الذى إنفصلت عنه فى البدء، النصف الذى يكملها، الذى تكتمل به. والسعى نفسه طريق المرأة. وهذا السعى لن يتوقف إلا متى ألتقت الروح بنصفها الأصيل واكتملت وإياه، أى متى عاد الإنسان كاملًا واعيًا لكماله.

لذا يعتقد الكثير من البشر أن الإنسان يتجسد على الأرض مرة تلو مرة، ليتكامل بوعيه وينمى مقدراته الباطنية ليتحقق إنه كائن متكامل، كلما وعى كيانه الباطنى ترقى على معارج المعرفة مكتسبًا حكمة العمل والتصرف، وليصحح ما إقترف من أخطاء وآثام بحق نفسه والآخرين، ثم ليعى أنه أخطاء حين لم يعطى اللامادة حقها من الحياة ومن الوعى والتطور، مما حتم عليه العودة إلى حالة الإنسان البدائى فى وعى ذاته. كما يعتقد الكثير من الناس إن الإنسان يتجسد من جديد ليدفع ثمن أفعاله الخاطئة وليتوب عنها، وليساعد أخيه الإنسان على النهوض بوعيه ويتوعى إلى هدف وجوده، بعدما أدرك معنى الألم والسعادة، فتكشفت أمامه حقيقة الإزدواجية التى يحيا ضمنها.

الطرق العلمية المختلفة للتحقق من صحة التقمص

لا شك فى أن العلماء تسنى لهم أن يطلعوا على الأدلة المختلفة بصدد التقمص والتى تراكمت تاريخيًا فى النصوص الدينية القديمة والحديثة وفى المذاهب الفلسفية المتعددة التى تحدثت عنه، أم من مصادر أخرى متواترة، إلا أن العقل العلمى يعتمد الموضوعية فى درس كل مايضع يده عليه لكى يصل إلى أغوارة، ويطلع على حقيقتة قدر الإمكان، وهذا كان من شأن التقمص. فى طرائق مختلفة للتحقق من صحه التقمص وهى: النطق (أو تذكر الماضى)، الرؤية من قبل، التنويم المغناطيسى.

أولًا: النطق (Memorizing the past)

أول بوادر دلت على التقمص كانت فى أن بعض الأشخاص تذكروا حياتهم السابقة على الأرض، والتاريخ فى الغرب حافل باسماء عدد كبير من العلماء الذين يذكرون أنهم عاشوا سابقًا على الأرض، وهذه الأقوال ولو إنها صدرت عن علماء يتصفون بالرصانة والصدق، فقد جرى التحقق العلمى فى كثير منه. نذكر منهم (إمرش ـ باكون ـ تنيسون ـ دانتى ـ دوما الآب ـ ديكارت ـ سبينوزا ـ شوبنهور ـ فلامريون ـ فولتير ـ كانت ـ لامارتين ـ نيتشه ـ ادوارد يانج). لم يكن كلام هؤلاء فى البدء غير شىء يثير الفضول، فيقف عند هذا الحد، أو ينسب إلى الوهم، إلا فى الأوساط التى تعتقد بالتقمص، فإن حوادث النطق كانت تلاحظ بكثير من الاهتمام.

عندما نشأت العلوم الروحانية فى أواسط القرن التاسع عشر، تبين أن هذه الظواهر ليست وهمًا بل هى حقيقة جديرة بالإهتمام بالدرس والتمحيص. (الباشا ـ ١٩٩٤ ص ٢٨٦).

ثانيًا: فن التنويم المغناطيسى (Hypnosis)

التنويم المغناطيسى علم وفن كما سبق أن ذكرت فى إحدى أولى مؤلفاتى، فهو فرع من فروع علم النفس العلاجى وهو ظاهرة قديمة برزت للوجود مع قدم الإنسان وأزليته وإستخدمت وسائل شىء، وعلى أشكال متعددة إقتصرت على أشخاص إمتازوا بالزهد والحكمة والإرادة. إن هذه الظاهرة تشبه إلى حد ما النوم الطبيعى الذى ينشأ عن الإجهاد والتعب الجسمانى، ولذلك فإن حصول التعب والجهد المصطنع يحدث نفس التأثير، رغبة فى النوم للتخلص من عامل الإجهاد ومنها الضوء الساطع والصوت والرنين ذو الوتيرة الواحدة والجسم اللامع والعين المحدقة ذات النظرة الثاقبة تحت حال الذهول وإعياء عند الواقع تحت تأثيرها فيحصل خذلانًا ونعاسًا عند الإنسان فيسرح فى النوم وسبات عميق ينجذب للنوم كما ينجذب الحديد للحجر المغناطيسى، ويقوم العقل الواعى بنقل الصورة والصوت إلى مراكز الإحساس بالدماغ.

لقد فسر التنويم المغناطيسى بصورتة العلمية الحديثة العالم (فرانز انطوان) الذى فسر ظواهر التنويم المغناطيسى الغريبة. كما قرر أن الجسم الإنسانى يتصرف بدوره كجانب مغناطيسى بسبب وجود تيار كهربائى مغناطيسى فى الأعصاب ومعظم خلايا الجسم. وفى القرن السادس عشر، أسس الطبيب السويسرى «هوهايم» نظرية ثورية فى الطب، وإعترف بالمغناطيسية. ولا ريب أنه يرجع الفضل فى بدأ إستكشاف أغوار الذاكرة الإنسانية للباحث الروحى المعروف (الكونت البردى روشا) الذى كان مديرًا للمدرسة الفنية العسكرية فى باريس وكان رائدًا من أعظم أعلام البحث الروحى فى العالم. لقد أجرى هذا العالم تجارب فى الفترة من عام ١٨٩٣ حتى عام ١٩١٠م أدت إلى النتائج الهامة التالية التى لخصها فى الآتى: «من المؤكد أنه عن طريق السبل المغناطيسية يمكن لأشخاص يملكون حساسية كافية إحداث سلسلة من أوجه

السبات وحالات اليقظة النومية الحركية التى تتابع بإنتظام، وقد تخلصت شيئًا فشيئًا من أربطة الجسد وإندفعت إلى مناطق فى المكان والزمان لا يمكننا أن نرتادها بوجه عام فى حالات اليقظة العادية، ومن المؤكد أنه عن طريق عمليات مغناطيسية يمكن للإنسان أن يقود تدريجيًا غالبية الوسطاء لعصور سابقة لحياتهم الراهنة بكل ما فى هذه العصور من خصائص عقلية وفيسيولوجية وذلك منذ لحظة ميلادهم». (كشيك ٢٠٠٣ ص ١٢١-١٢٢).

ثالثًا: الرؤية من قبل (Deja Vu)

هذه الظاهرة شبيهة بالنطق، بل هى مرحلة أولى منه، وتنتهى غالبًا إليه، فهى بصمات مبهمة وينقصها الوضوح وتنقصها الدقة، وتدعى هذه الظاهرة فى الطب النفسى الغربى (Deja Vu) أو هى التالية: كثير ما يحدث أن يجد المرء نفسه فى مكان ما يشعر أنه يعرفه من قبل مع أنه لم يزور من قبل هذا المكان. ليس هذا الشعور بوهم، بل هو فى الغالب موجود فى العقل غير الواعى من مخلفات الحياة الماضية كما يقول الكثير من الأطباء النفسيين. مثال على ذلك، لقد حدث ل (مارتين) العالم الفرنسى والذى ذكر فى كتابة (رحلة إلى الشرق) عن تعرفه إستباقًا إلى جميع الأماكن التى قام بزيارتها فى رحلته إلى الشرق الأقصى بدون سابق معرفة أو قراءة أى معلومات عن هذه الأماكن قبل سره.

بعض القصص المسجلة عمليًا لتناسخ الأرواح

قام الدكتور «إيان ستيفنسون» من جامعة ميتشيجان، وهو متخصص فى علم نفس الأطفال بدراسة ظاهرة التقمص، فأجرى دراسة بحثية شملت عدد ١٢٠٠٠ طفلًا، فجاءت نتائج هذه الدراسة مذهلة، ولخص نتائجها فى كتابه الشهير (Life after life) كالآتى: «إن الأطفال فى سن الثالثة، أمريكيو المولد، ظهرت لديهم ذكريات لأهل وأصحاب وحروب فى الجيش التركى وعائلات

فى اليونان وصفوها وذكروا أسماء أفرادها فردًا فردًا، بل إنهم تذكروا تواريخ ميلاد هؤلاء الأفراد واسماءهم المحببة لهم». وهذه النتيجة تنسجم مع معتقد الدروز فى كون ذكريات الحياة السابقة تكون أوضح وأقرب إلى الأطفال فى سن الثالثة فما دونها.

لقد قرر الدكتور «ستيفنسون» بعد نجاح دراسته هذه أن يعقبها بأخرى، فإتضح له أن الميت المقتول يظل جرح مقتله باديًا على الجسد التالى الذى تسكنه الروح، فمن مات مطعونًا فى عنقه وعادت روحه فى طفلة بعد ٧٠ عامًا، فوجد إنها تحمل (وحمة) كما نسميها، فى محل الطعنة تمامًا وبذات الشكل، كما أنها تؤثر على الإنسان فى حياته الحالية حيث يكون معرضًا لأن يرث الحقد والعدائية والسوداوية.

١ ـ لغز الطفل الهندى «برامود شارما»

لم يكن برامود طفلًا غير عادى أبدًا فى مراحل طفولته الأولى، فقد ولد ببلدة فى مقاطعة (بارون) فى ١٤ مارس من عام ١٩٤٤م، وإحتل فى سجلات المواليد الطفل الثانى للأستاذ (باذكيلال شارما) والده المدرس بمعهد علمى متوسط، ونشأ نشأة عادية حتى بلغ العام الثالث من عمره، وفى عيد ميلاده الثالث تغير أمر الطفل وتبدل تمامًا.

لقد بدأ (برامود) يرفض الإستجابة لمن ينادية باسمه مدعيًا أنه شخص آخر. كان من الطبيعى أن يقلق والده ويفزع لما أصاب ابنه، لذا فقد إستدعاه للتكلم معه أمام والدته.. وكانت مفاجئة للجميع حين أدعى الصبى أنه شخص آخر يدعى (بارا ماننداا) كان يقيم فى (مراد اباد) قديمًا.. وكان من الطبيعى أن تندهش الأسرة كلها وتشعر بالفزع لما أصاب طفلها الذى لم يتجاوز الثالثة من عمره وذلك ليس لأن الأمر عجيب أو مرفوض، بل إن هذا معروف لدى الهنود ب (ظاهرة تناسخ الأرواح) ولكن النظرية الهندية فى التقمص تقول: أن

الشخص الذى يأتى من حياة سابقة لا يعمر كثيرًا وطويلًا، ولهذا رفض والده مجرد مناقشة الأمر برمته.

إلا أن الطفل راح يتحدث عن حياته السابقة وعن زوجته وأولاده وحياته فى (مراد أباد) ويقارن بينها وبين حياته العادية فى (بارون). وقبل أن تهدأ الأمور ويستطيع الجميع التعايش مع الأمر فى سلام، ألقى الطفل عليهم مفاجأة أخرى، فلقد أخبرهم برغبته فى العودة إلى مسقط رأسه، إلى (مراد أباد)، وعقدت الدهشة لسان الأب الذى لم يستطع النطق ووقف يحدق فى ابنه وهو يصف له بكل ثقة الأصناف والسلع التى تتوافر بالمتجر الذى يمتلكه هناك. إلا أن والده ما لبث أن أعلن عدم موافقته للذهاب بكل حزم، فما كان من الطفل إلا البكاء والتوسل والإستعانة بالأصدقاء، فما كان من الأب إلا أن وافق على مضض للذهاب إلى (مراد أباد).

وحين بلغ الطفل عامه الخامس اتجه الجميع إلى (مراد آباد) لحسم هذه المسألة للأبد، وعلى الرغم أنها المرة الأولى التى يزور بها المدينة، إلا إنه يعرفها، وأخبر الجميع أنه سيقودهم بنفسه، وهناك قادهم إلى متجره ومتجر أخوانه، وتعرف عليهم جميعًا بلا إستثناء وتحدث عن دعابات قديمة بينهم لا يعرفها غيرهم.. وبعد هذا إتجه إلى مصنع للمياه الغازية كان يديره بنفسه وشرح لمرافقيه كيف تعمل الآته وكيف يتم إستيرادها على نحو لا يمكن لصبى مثله أن يفهمه ويستوعبه.

ثم جاء وقت لقاء عائلته، فقد تعرف عليهم واحدًا واحدًا، وتحدث معهم عن موضوعات خاصة يستحيل أن يعرفها الغريب عنهم، وأجاب عن كل الأسئلة التى طرحت عليه، ووصف البيت بتفاصيله قبل أن ينهض لرؤيته، بل وتعرف على كل التغييرات التى حدثت به منذ وفاته، وإنهارت الأسرة كلها خاصة حين كان الطفل يهم بالرحيل، وهناك حاول الطفل أن يكون (برامود) وليس (بارامنندا)، رغم أن الجميع لم يمنحه هذه الفرصة..

٢ ـ قصة الطفلة (حلا) التى تتعرف على أهلها السابقين وتسرد قصة موتها فى الماضى

هى بنت سورية متقمصة من محافظة السويدا، تروى قصة مقتلها فى حياة سابقة، وقالت (حلا حلبى) البالغة من العمر ١٣ عامًا إنها كانت متزوجة من شاب يعمل قصابًا وتعيش فى مدينة دمشق بمنطقة باب مصيلحا، غير أن تراكم الخلافات مع حماتها قادها إلى طلب الطلاق ما دفع زوجها وحماتها لقتلها خنقًا بواسطة استخدام وسادة نوم، كمموا وجهها بها حتى فارقت الحياة.

فى إستحضارها لماضيها تقول حلا: «أتذكر فستان عرسى كأنه أمام عينى فى هذه اللحظة، وأعرف أبى وأمى فى حياتى السابقة وهما من عين وزين فى الشوف بلبنان». تقول والدة حلا: «حين ابتدأت حلا الكلام، نطقت إسم زوجها فى حياتها السابقة، وتضيف: «كلما ذكرت إسمه تقول (خنقنى بالوسادة)، وكنا نحاول إبعادها عن الحديث لكنها لم تكن لتكف عن التحدث فى هذا الموضوع، فقد كانت دائمة تذكر أهلها السابقين كلهم، وتعدد لنا إخواتها واحدًا واحدًا، وذات يوم كبرت حلا وصارت بعمر التاسعة، وذهب أبوها ليعمل فى لبنان، وسألته إلى أين هو مسافر، فقال لها إلى لبنان، وصعقنا حين قالت أنها تعرف بلدة «عين وزين»، مع إننا لم نكن قد نطقنا هذا الإسم من قبل أمامها حتى أننا لم نكن قد سمعنا بالإسم، وهذا ما لفت انتباهى وإنتباه أبيها، فسألناها لتعيد قصتها على مسامعنا، بعدها قرر أبيها الذهاب إلى أهلها فى جيلها السابق وسؤالهم إن كان لهم بنتًا ماتت، وحصل وذهب زوجى وبحث وفتش حتى وصل إلى أهلها فى لبنان، وحكى لهم حكايتها، فأكدوا له إن كانت لهم ابنتهم متزوجة فى دمشق وإنها ماتت فى ظروف غامضة، وإنها باتت صفحة من الماضى، ولم يشأ والد (حلا) الحالى أن يحكى لأهلها من حياتها الماضية ما تقوله البنت كى لا يتسبب بمشاكل غير أننا تأكدنا فعلًا أن ما تقوله حلا صحيح». «بعدها جاء أهل البنت

لزيارتنا وما أن أطل أبيها وأمها عليها حتى إرتمت بين أحضانهم وكان مشهدًا مؤثرًا».

٣ ـ قصة تقمص حقيقية

هذه القصة من كتاب «انيس يحيى» (جسد كان لى ـ قصة تقمص حقيقية)، يروى الكتاب قصة امرأة لبنانية قتلها شقيق زوجها عن طريق إغراقها فى مياه البحر فى الخليج، والظروف التى رافقت مقتلها، وشك والدها فى خبر غرقها قضاء وقدرًا، حسب ما أبلغه الزوج وشقيقه، ومن بعد إدعاء الوالد على مجهول بجرم القتل، ثم قدوم أحد كبار الباحثين الأكاديميين فى هذا المجال من الولايات المتحدة للتحقيق فى قصة فتاة ولدت فى أمريكا وأخذت تروى، لدى بلوغها الثالثة من عمرها، صفحات من حياتها السابقة، وكيفية إغراقها وموتها واسمها فى الجيل السابق وإسم أبيها وأمها وزوجها وشقيقه والقرية التى عاشت فيها فى لبنان، وكيف تم التثبت من تلك الوقائع ومطابقتها مما دفع الأب إلى الإدعاء المباشر على الزوج وشقيقيه، وكيف تطورت التحقيقات، وصولًا إلى إلقاء القبض على القاتلين واعترافهما بالجريمة. إن هناك الكثير من الأمثلة فى هذا الموضوع والقصص المرواة بأدق تفصيلاتها والتى تحتاج للمزيد من الدراسة العلمية المتأنية التى نأمل بأن نرى نتائجها فى المستقبل القريب.

الصوفية والتقمص

يفضل الباحثين الثيوصوفيين تعبير (العود للتجسد Reincarnation) بدلًا من التقمص نظرًا لما علق بهذا المصطلح الأخير من وجهة نظرهم للكثير من المفاهيم المغلوطة. إن الثيوصوفى الذى ولج عوالم روحانية قلما يجد الكلمات، عملًا بالقول: «كلما إتسعت الفكرة ضاقت العبارة». ولكى نفهم وجهة النظر الصوفية فى معتقد العود للتجسد أو التقمص، علينا أن نرجع أولًا

إلى مفهوم الإنسان ومركباته السبع من وجهة نظر الثيوصفية (الحكمة الإلهية Theosophy) وسلط الضوء على مفهوم التقمص بعد ذلك من وجهة نظرهم.

ينطوى الإنسان، بحسب الثيوصوفيا، على سبعة أجسام أو هياكل أو مستويات طاقة أو طبقات أو أغلفة، وتتألف هذه السباعية من مجموعتين: ثالوث علوى ورابوع سفلى، وهى (مرتبة من الأخف الأشف إلى الأثقل الأكثف).

١ ـ الجسم الآتمى (الآتما Atma أو الروح) وهو الشعلة الإلهية الكامنة فى الإنسان (المونـاد أو الإله الباطن).

٢ ـ الجسم الإشراقى Buddhi (الجسم البودهى)، وهى مركبة تحمل الروح.

٣ ـ الجسم العلى أو الجسم السببى Higher Manas (الجسم العقلى الأعلى أو الأرفع)، وهو النفس العليا أو أنية الفردية، وهو الذى يعود للتجسد، بحسب الثيوصوفيا.

٤ ـ الجسم الرغائبى Kamarupa (الجسم العقلى الأدنى Lower Manas)، مقر الرغبات، وهو النفس الدنيا (الفانية) أو أنية الشخصية.

٥ ـ الجسم النجمى Astral body (الجسم النورانى، مركز الأحاسيس والإنفعالات والعواطف والشهوات).

٦ ـ الجسم الأثيرى Etheric body (البرانا Prana أو طاقة الحياة).

٧ ـ الجسم الفيزيقى Physical body (الجسم المادى أو الجسم الجرمى).

تلك الرباعية الدنيا تسمى الشخصية (النفس الدنيا الفانية). وكما سبق أن ذكرت أنه إذا دققنا فى الإشتقاق اللغوى لكلمة «تقمص» وجدنا أنها مشتقة من كلمة قميص، والقميص هو الثوب الذى يغطى النصف الأعلى من جسد

الإنسان وهذا يشير إلى أن الذى يتقمص فى الإنسان هو النفس العليا (الفردية). ويدل معنى «القميص» على التبديل عندما يبلى ويهترئ. فكما أن الإنسان يبدل أكثر من قميص فى حياته الواحدة، كذلك تبدل الفردية أكثر من قميص جسدى فى حياتها.

كما يوجد أيضًا تقسيم آخر للإنسان عند الصوفيين، لسهولة الدراسة والفهم، إلى: ١ ـ الجسد ٢ ـ الهالة ٣ ـ الجسم الوهمى ٤ ـ النفس الحيوانية ٥ ـ النفس البشرية ٦ ـ النفس الروحانية ٧ ـ الروح. وقد قسم بولس الرسول فى المسيحية والمسلمون أيضًا الإنسان إلى ثلاثة أقسام وهى: جسد (الجسم المادى والجسم الأثيرى والجسم النجمى) ونفس (الجسم الرغائبى والجسم العلى والجسم الإشراقى) ـ روح (أتما) وقسم المسلمون النفس إلى ثلاثة أقسام (أو أنواع) هى: أمارة (بالسوء) تقابل الجسم الرغائبى والجسم النجمى. لوامة (تقابل الجسم العقلى الأعلى). ومطمئنة (تقابل الجسم الإشراقى والجسم الأتمى).

يتألف الإنسان إذا من شخصية Personality فانية (من كلمة Persona وتعنى القناع) ومن فردية Individuality خالدة. الشخصية الفانية الحادثة هى أداة تستعملها الفردية أو هى ثوب تلبسه الفردية فى تجسد أرضى واحد، أو بالأحرى هما قناع Persona مركب مؤلف من أقنعة فكرية أيدولوجية عقائدية إنفعالية، بينما الفردية خالدة وتأخذ أكثر من تجسد، أى: تقمص، أى: تلبس أو ترتدى قمصانًا جديدة، أقنعة جديدة بحسب محصلة قناعاتها وأفعالها السابقة، أى: تنتقل الفردية من صورة بشرية (قميص أو قناع) إلى صورة بشرية أخرى حاملة معها من تجسدها السابق محصلة أعمالها على شكل صفات وطباع وفرص وظروف، ولكن الفردية هى الأخرى ستزول، فخلودها نسبى، هى خالدة مقارنة بالنفس الدنيا وبالجسد. إن الذى يتقمص إذا هو الفردية الخالدة (النفس العليا العاقلة) وليست الشخصية الفانية.

فكما تخضع شخصيتنا الفانية (جسدنا المادى وملحقاته: الأثيرى والنجمى والرغائبى) لثنائية اليقظة والنوم، حيث تمارس نشاطًا فى اليقظة وتخلد للراحة فى النوم لكى تهضم خبرة يومها السابق وتستعد لإستيقاظ جديد، كذلك تخضع فرديتنا الخالدة (روحنا وملحقاتها: الإشراقى والعقلى الأعلى) لثنائية الحياة والموت حيث تمارس أفعالًا فى الحياة وتخلد للراحة فى الموت لكى تهضم خبرة حياتها السابقة وتستعد لولادة جديدة.

فالإنسان يولد على ما كان عليه فى حياة سابقة، ويموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه. فالموت والحياة حلقتان فى سلسلة طويلة. والوجود عجلات تسير، فقانون التجلى الدورى (المتناوب) يسرى فى كل مراتب الوجود على شكل «بسط وقبض» متعاقبين: الشهيق والزفير ـ الإنبساط والإنقباض ـ النشاط والراحة ـ اليقظة والنوم ـ الليل والنهار ـ الحياة والموت.

الوجود كله كالقلب ينبض، كالرئتين يتنفس، كالعين يرف، كالجناح يخفق، كالموجة يهتز، كالضوء يومض، كالنهر ينهر، كالسيل يسيل.. والسفر طويل. تقر الثيوصوفيا بأن العودة للتجسد هو مظهر من مظاهر هذا القانون الكونى. فى الإسلام، تفسر بعض الفرق الباطنية بعض الآيات القرآنية على إنها إشارة واضحة إلى التقمص. لغويًا، يمكن أن يشير المعنى الدلالى لهذه الآيات إلى مفهوم عود النفس العليا للتجسد أكثر من مرة. ومن هذه الآيات: «فلا أقسم بالشفق (حمرة الأفق قبل الغروب)، والليل وما وسق (ضم وجمع وستر)، والقمر إذا إتسق (إجتمع نوة وإكتمل)، لتركبن طبقًا عن طبق (حالًا)، فما لهم لا يؤمنون». (سورة الإنشقاق) الآيات (١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠). ومما يفهم من هذه الآيات هو أن القرآن يقسم بعناصر من الكون للإشارة إلى القانون الذى يحكم هذا الكون، فكما أن الشمس تغيب ويأتى الليل (تعاقب الليل والنهار) وكما أن القمر ينتقل من حال إلى حال (هلال وبدر) فى قانون دائرى سرمدى (تكوين دورى Cyclogenesis)،

كذلك فإن هذا القانون يسرى على البشر أيضًا، فينتقلون من حياة إلى موت إلى حياة فى حركة مستمرة. كما يمكن أن يفهم من آية «لتركبن طبقًا عن طبق» إنكم لسوف تنتقلون من حال إلى حال، وهو الموت والحياة، فتمرون متجسدين فى جميع الأجناس والأعراق البشرية والحالات الاجتماعية فى تلك الأسرة الإنسانية الواحدة وستمرون فى كلا الجنسين الذكر والأنثى.

والتفسير التقليدى عن السنة ليس ببعيد جدًا عن هذا المعنى، وإن لم يصرح بمفهوم العود للتجسد. بمعنى أوسع، كل شىء يتغير ويتحول من حال إلى حال فى حركة دورية دائرية سرمدية متخذًا أشكالًا متعاقبة يشكل تسلسلها خلال فترة محددة مفهوم التكوين (Genesis). لقد صرح بإيمانه بالتقمص كثير من المفكرين والفلاسفة على مر العصور كما سبق أن ذكرت فى بداية هذا الفصل، مثل: فيثاغورث، افلاطون، أرسطو، أوريجينيس، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، فيكتور هيجو، بلزاك، جوته، أوفيد، شوبنهاور، شيشرون، جيوردانو برونو، هليموت، إسبينوزا، لايبنز، سويد نبورج، بنيامين فرانكلين، عمانوئيل كانط، تايلور، كير كيجارد، أديسون، كارل جوستاف يونج، تولستوى.

لقد أشار القرآن الكريم إلى مفهوم العود للتجسد فى أكثر من آية أوضحها هى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨). ويشير بيير لورى Pierre Lory إلى أن المصنفات الجابرية (جابر بن حيان) يتخللها مذهب فى التناسخ: «فمن دور إلى آخر يترقى العارفون إلى منازل أعلى فأعلى فى العرفان». فحياة واحدة من حيوات الجسم المادى تبعًا للصوفيين ليست سوى نهار من نهارات النفس العاقلة، وحياة واحدة من حيوات النفس العاقلة ليست سوى نهار من نهارات الروح، وحياة واحدة من حيوات الروح ليست سوى نهار من نهارات الخالق، والنهر جار، تدور الكينونة على ذاتها فنكون.

لكن اللبس الذى يحدث فى مفهوم التقمص هو الفكرة التى يعتقدها كثير من الناس والتى يرفضون على أساسها التقمص، وهى إعتقادهم بأن تقمص الروح يعنى إنتقالها إلى جسد إنسان آخر، وهذا من وجهة نظر الصوفيين خطأ. فالتقمص عندهم وكما تطرحه الثيوصوفيا، هو تغيير ثياب بكل بساطة. والذى يغير ثيابة يبقى كما هو.

من الأدلة التى قدمها الثيوصوفيا على وجود التقمص، أو بتعبير أدق العود للتجسد، وليس من بين هذه الأدلة، بالضرورة القصص الشعبية التى يوردها بعض المؤمنين بالتقمص: ١ ـ الرحمة الواسعة لكل شىء والعدل الصارم الإلهيان يقتضيان إعطاء أكثر من فرصة للنفس العاقلة لإكمال خبراتها وتصحيح أخطائها ولا يتم ذلك خارج الجسد. الغاية ليست معاقبة النفس بل تفتح وعيها.

٢ ـ مسيرة النضج الروحى وتفتح الوعى تدريجيًا يتطلبان وقتًا أطول بكثير من حياة أرضية واحدة. فزمن الروح غير زمن الجسد، بمعنى أن ﴿يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة الحج ـ الآية ٤٧). إذا ما حملنا هذه الآية على المعنى الثيوصوفى، فيوم الروح قد يقابل ألف سنة أو يزيد من أيام الجسد على الأرض. (تقول الثيوصوفيا بأن المدة الزمنية التى يقضيها المتوفى فى السماء تتناسب طردًا مع الكارما الصالح له خلال حياته الأرضية، وقد تتراوح عند الإنسان العادى بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ عام (دراسات ثيوصوفية الجزء ٣، جهاد الياس الشيخ).

٣ ـ مبدأ الوحدة الكونية يشمل كل شىء. فالقوانين واحدة، وتسرى على عالم الروح كما تسرى على عالم المادة. فقوانين المادة هى إنعكاس لقوانين الروح. وبما أن المادة يحكمها الدورى المستمر (نشاط وراحة) يقظة ونوم، كذلك لابد أن يحكم النفس العاقلة القانون نفسه وهو الموت والحياة بصورة دورية.

إن الإنسان تبعًا لمعتقد الثيوصوفيا ينسى تفاصيل تجسداته السابقة، كما لمح القرآن إلى ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (سورة طة ـ الآية ١١٥). مع أن الله قد أبقى فى حياة الإنسان الجديدة علامات من حياته الماضية، مؤكدًا القرآن ذلك: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر ـ الآية ١٥) ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات ـ الآية ٢١). أى أن علامات الحياة السابقة وبقاياها مترسبة فى أنفسنا على شكل طباع وصفات وظروف أفلا نرى ببصيرتنا؟ ثم يقول القرآن: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (سورة الجاثية ـ آيه ٢٣، ٢٤). لقد فسرت الثيوصوفيا الآيتين الأخيرتين بعبارات ثيوصوفية تقول: «هل نظرت أيها الإنسان نظرة منتبه متذكر معتبر إلى الإنسان الذى يجعل مستوى وعيه على المستوى النجمى الإنفصالى الأهوائى بدلًا من أن ينقل وعيه إلى المستوى الروحانى، فيلقى أوامره من شهواته وهواه، إن ذلك الإنسان الذى هبط بوعيه إلى درك الشهوات بدلًا من أن يرتقى به إلى مرتبة الروح لا يهديه الروح حتى لو كان عنده علم، لإنه لم يتخذ الروح دليله، فتعطل الشهوات مقدارته النفسية من سمع (إنتباه) وعقل (وعى) وتشكل أمام بصيرته (عينه الثالثة) حجابًا يمنعه من الرؤية الحقيقية، وعندئذ لا يعود لذلك الإنسان التائه من أحد يدله على طريق الخلاص، لأنه لا هادى إلا الروح. أيها الإنسان، لماذا لا تتذكر هذه الأمور؟ نسيتم الروح هاديًا لإنكم إتخذتم الشهوات عائقًا. فلننظر فى أنفسنا لعلنا نتذكر.